**المحاضرة الرابعة:**

**النقد في العهد الراشدي بين المعيار الفني و البعد الأخلاقي**

**تمهيد تاريخي:**

صدر الإسلام يطلق على عصر الرسول(ص) و الخلفاء الراشدين من بعده،أي الفترة الزمنية الممتدة من ظهور الدعوة المحمدية إلي قيام الدولة الأموية.و هذه الفترة تمتد إلى حوالي نصف قرن من الزمن.لم يشجع الخلفاء الراشدون الشعراء كثيرا على قول الشعر حتى ينهض ويتطور تبعا لذلك،و لكنهم على العكس كانوا يشجعون من يعدل عنه إلى القرآن الكريم.([[1]](#footnote-2)) و هم بذلك قد نهجوا منهج الرسول (ص) في حث المسلمين على حفظ القرآن الكريم.

إن حركة النقد الأدبي في هذا العصر تلتمس في مواقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء. و اهتمام الخلفاء في هذا الميدان لم يكن مقصورا على النقد وحده و إنما تجاوزه إلى الاهتمام باللغة العربية عامة،و الغيرة على صحتها وسلامتها من اللحن و خاصة في قراءة القرآن.أما الشعر و نقده فقد ساروا فيه سيرة الرسول(ص) ونهجوا نهجه فكانوا يميزون بين شعر و شعر فيحضون، على ما هو حسن مفيد،و يعاقبون على ما هو شائن ضار و ما منهم إلا من تمثل بالشعر أو دعا إلى روايته و اعتدها من تمام المروءة و المعرفة.

لا يختلف خلفاء الرسول(ص) موقفا من الشعر عن موقف الكتاب العزيز، والرسول الكريم،فقد كانوا جميعا ذوي بصر بالشعر يحبون الاستماع إليه و الاسترواح به،و لكنهم مع ذلك حريصون كل الحرص على تعاليم الإسلام،و يشعرون بمسؤولية الحاكم في حماية المجتمع الإسلامي الجديد من إثارة النعرات القبلية،أو الأخلاق الجاهلية التي أبطلها الإسلام. ([[2]](#footnote-3))

و إذا نظرنا إلى نشاط هؤلاء الخلفاء في ميدان النقد الأدبي نجد الخليفة عمر رضي الله عنه كان أكثرهم أثرا و تأثيرا فيه.يقول ابن رشيق:"كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة"([[3]](#footnote-4)). و لعل ثقافته الأدبية هي التي أهلته لأن يتبوأ مكانة عالية في النقد و تطويره([[4]](#footnote-5)).

و الواقع أن عمر رضي الله عنه ظل في إسلامه كما كان في جاهليته حفيا بالشعر شديد الشغف به،بل ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة،و اشتغاله بمهامها،فكان يتمثل بالشعر و يرويه،و يستنشده من أصحابه وحفاظه([[5]](#footnote-6)).

**نماذج من النقد العمري،شرح و تحليل:**

1- روي عن عبد الله بن عباس أنه قال:قال لي عمر رضي الله عنه: أنشدني لأشعر شعرائكم،قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال:زهير،قلت: و لم كان كذلك؟ قال:" **كان لا يعاظل** **بين الكلام، و لا يتتبع حوشيه و لا يمدح الرجل إلا بما فيه**"([[6]](#footnote-7)). ومواطن الأهمية في هذا الخبر هو ما يشير إليه من تفضيل عمر لوجوه نقده، و ما بدا فيه من اعتماده على الموضوعية، التي تقوم على أسباب جوهرية في الكلام،تصلح أساسا للأحكام، و قاعدة و معيارا يقوم الشعر والأدب به،فقد نظر في الألفاظ و الأساليب و المعاني و المنهج، فوصف ألفاظ زهير بالسماحة و الألفة وأسلوبه بالوضوح والجمال و السلاسة و الخلو من التعقيد و التركيب و التوعر، ومعانيه بالصدق، و منهجه بالتزام الحق و الصدق والاعتدال و القصد و التباعد من الإفراط والغلو.

و يعتقد أن كلمة عمر هذه هي أقدم النصوص التي وصلت إلينا من حيث اعتمادها على تفصيل أسباب اختيار الشعر،و تفضيل الشاعر، وعلى الرغم من قدمها فإنها تضع مقاييس صالحة يقاس بها الأدب، فقد تناولت أهم أركان الشعر، وهي أساليبه و معانيه، و قد ظلت تلك المقاييس نواة النقد الأدبي في عصور الأدب العربي حتى عصرنا الحاضر. وعلى هذا فإن كلمة عمر يمكن أن تعد أول بارقة في النقد الأدبي و أول أساس للنظر في الأدب نظرة موضوعية. ويرى طه إبراهيم أن نقد عمر ظاهرة جديدة لا عهد لنا بها من قبل،فهو حين قدم زهيرا لم يحكم بذلك فحسب بل شرح هذا التفضيل. و من هنا نستطيع القول بأن عمر واءم بين الشكل و المضمون،لأنه قرر مبدأين هامين في صناعة الشعر:

\*الحذق في الصناعة الشعرية، و ذلك يتناول الشكل و التصوير.

\*الصدق في الوصف، بحيث لا يجانب المنطق و هذا يتعلق بالمضمون.

2-أنشد سحيم عبد بني الحساس عمر رضي الله عنه قوله:

**عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا**

فقال عمر:"لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك"**([[7]](#footnote-8))**. فأحكام عمر النقدية تشير إلى أنه كان يقدر الشعر و يقيسه بمقياس الرسول (ص) و مع ذلك نجده يفضل الشعر الذي يجمع بين القيم الأخلاقية و القيمة الأدبية.

3- أنشد رجل عمر بن الخطاب قول طرفة:

**فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى و جدّك لم أحفل متى قام عوّدي**

فقال عمر رضي الله عنه:" لولا أن أسير في سبيل الله، و أضع جبهتي لله، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمرة،لم أبال أن أكون قد مت".فالخصال الثلاث التي كان يحبها طرفة و يعيش من أجلها ولا يبالي الموت إذا تحققت له قد فصلها في معلقته وهي: مباكرته الشراب و إغاثة المستغيث و التمتع بالنساء. و قد كان عمر يعلم هذه الخصال التي يحبها طرفة لكنه قابلها بثلاث يحبها هو و هي:السير في سبيل الله و الصلاة له و مجالسة أهل الأدب المنتقى.

4- أتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة و قال له:إنه هجاني.قال عمر: و ما قال لك؟ قال:قال لي:

**دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**

فقال له عمر الذي يقف هنا موقف القاضي لا موقف الأديب العليم بالشعر:ما أسمع هجاء و لكنها معاتبة. فقال الزبرقان:أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل و ألبس؟ فاستدعى عمر حسان بن ثابت و سأله،فقال:لم يهجه و لكنه سلح عليه،أي هجاه و أفحش في هجائه**([[8]](#footnote-9))**.و أمر عمر بحبس الحطيئة.و لم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت، و لكنه كره أن يتعرض لشأنه فبعث إلى شاعر مثله**([[9]](#footnote-10))**.

و قد ظل الحطيئة في محبسه حتى تشفع له عمرو بن العاص ،فأطلقه عمر بعد أن أخذ عليه عهدا بترك المقذع من الهجاء.

5-مما أثر عنه –رضي الله عنه- أنه حينما انشدوه قول زهير بن أبي سلمى:

**و إن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء**

ردد عمر البيت كالمتعجب من علمه بالحقوق و تفصيله بينها،و إقامته أقسامها.يقول العسكري:"كان عمر رضي الله عنه يتعجب من صحة هذه القسمة، ويقول:لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته"**([[10]](#footnote-11))** يقصد بهذا التقسيم استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه. و قد عده البلاغيون المتأخرون فنا من فنون البديع المعنوي. **([[11]](#footnote-12))** يدل إعجاب عمر بهذا البيت على ذوقه الأدبي،و علمه بالعناصر البلاغية التي تكسب الكلام حسنا. **([[12]](#footnote-13))**

**نماذج من نقد و آراء الإمام علي(ض):**

منح الإمام علي(ض) موهبة تهديه إلى التذوق والتفسير وتعينه على التقدير والتقويم،يقول العقاد:" إن نقد علي للشعراء كان نقد عليم بصير،يعرف اختلاف مذاهب القول، واختلاف وجوه المقابلة، و التفضيل على حسب المذاهب"**([[13]](#footnote-14))**

1-روي عنه أن قال:"لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد و نصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم،و إذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة و لا لرهبة، فقيل: و من هو؟ فقال:الكندي. قيل:و لم؟ قال:لأني رأيته أحسنهم نادرة و أسبقهم بادرة،و أنه لم يقل لرغبة و لا لرهبة"**([[14]](#footnote-15))** و هنا يبدو الجديد في موقف الإمام علي(ض) و نظرته إلى الشعر،فالتفاضل لا يجري إلا بين الشعراء المتعارضين،**([[15]](#footnote-16))** و لا يتم ذلك على وجه الدقة إلا إذا توفرت وحدة الموضوع الشعري للشعراء المتنافسين و بذلك يضع للمفاضلة شرطين:المعاصرة و وحدة الموضوع،و إذا كان لا بد من المفاضلة –و شروطها غير متوفرة- فالشاعر هو الذي تحرر من قيد الطمع ورهبة الخوف.من ذلك يتضح أن الشاعر المقدم عنده من تجرد عن الهوى و الخوف و كان شعره وليد المشاعر الصادقة. **([[16]](#footnote-17))**

**نماذج من نقد أبي بكر الصديق:**

على الرغم من أن النصوص التي وصلتنا عن أبي بكر الصديق(ض) في ترشيد الحركة الشعرية قليلة إلا أنها تنم عن معرفة بالشعر و تشبع بروح الدين من ذلك:

\*أنشده لبيد قوله:"ألا كل شيء ما خلا الله باطل" فقال له منوها بانسجام فكرته مع الفكرة الإسلامية عن الله جلت قدرته:"صدقت". لكن حين قال:"و كل نعيم لا محالة زائل" أنكر عليه هذه الفكرة و قال له:"كذبت عند الله نعيم لا يزول".**([[17]](#footnote-18))**

\*روي أنه كان يحكم بين الشعراء و يفضل النابغة بقوله:"هو أحسنهم شعرا،وأعذبهم بحرا،و أبعدهم قعرا"**([[18]](#footnote-19))** و هنا نجد أن نظرة أبي بكر النقدية إلى الشعر يبدو فيها الإجمال و العموم كعادة نقاد الشعر في عصره و استمرارا للفطرة العربية القديمة في النقد و النظرة إلى الشعر،إلا أن في هذه العبارة النقدية الموجزة سمة مركزة، فهو يعد العمق سببا في المقارنة و المفاضلة. **([[19]](#footnote-20))**

\*روي عنه أنه سأل رجلا يبيع الثياب فقال:أتبيعني هذا الثوب يا رجل؟ قال الرجل:لا عافاك الله.ففطن أبو بكر الصديق إلى هذا الاستعمال اللغوي الذي قرره البلاغيون فيما بعد في مسألة الفصل و الوصل.حيث أوجبوا الفصل بالواو في هذه المسألة لأن"لا" تتضمن جملة خبرية مضمونها "لا أبيعك هذا الثوب" و الجملة الثانية دعائية "عافاك الله".و هذا التعقيد يرتبط بالمعنى إذ يحتمل أن يكون النفي منصبا على الجملة الدعائية فيكون النفي دعاء عليه لا له. **([[20]](#footnote-21))**

\* **عثمان**: كان الخليفة عثمان بن عفان –على زهده- يتذوق الشعر و ينظر فيه وينقده مسببا و معللا لحكمه.

\*أنشد قول زهير:

**و مهما تكن عند امرئ من خليقة و إن خالها تخفى على الناس تعلم**

فأعجبه صواب معناه و قال:أحسن زهير و صدق،فلو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس.

1. ()- عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص:57. [↑](#footnote-ref-2)
2. ()- نجوى صابر:النقد الأخلاقي،أصوله و تطبيقاته،ص:22. [↑](#footnote-ref-3)
3. ()-ابن رشيق:العمدة،ج1:ص:20. [↑](#footnote-ref-4)
4. ()-عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص:62. [↑](#footnote-ref-5)
5. ()- نفسه،ص:62. [↑](#footnote-ref-6)
6. ()-ينظر ابن رشيق:العمدة:ج1،ص:170. [↑](#footnote-ref-7)
7. ()- الجاحظ:البيان و التبيين،ج1،ص:71/72. [↑](#footnote-ref-8)
8. ()-عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص:72 [↑](#footnote-ref-9)
9. ()-نفسه،ص:72 [↑](#footnote-ref-10)
10. ()-العسكري:الصناعتين،ص342. [↑](#footnote-ref-11)
11. ()-عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص:80 [↑](#footnote-ref-12)
12. ()-ينظر المرجع نفسه،ص:80 [↑](#footnote-ref-13)
13. ()-العقاد :عبقرية الإمام،دار المعارف،دط،ص:139. [↑](#footnote-ref-14)
14. ()-ابن رشيق: العمدة،ص:27/28. [↑](#footnote-ref-15)
15. ()-مصطفى عبد الرحمن إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب،ص:91. [↑](#footnote-ref-16)
16. ()- عبد العزيز عتيق:تاريخ النقد الأدبي عند العرب،ص:83. [↑](#footnote-ref-17)
17. ()- الجاحظ:البيان و التبيين،ج1،ص:91. [↑](#footnote-ref-18)
18. ()- ابن رشيق: العمدة،ج1،ص:95. [↑](#footnote-ref-19)
19. ()- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم:في النقد الأدبي عند العرب،ص:88. [↑](#footnote-ref-20)
20. ()- المرجع نفسه،ص:89. [↑](#footnote-ref-21)